مقاربة بين مشروع السّلام العالمي عند "إيمانويل كانط" والفُنون الخطابية عند "يورغن هابرماس" والصّحّة الكونية عند "جوديث بتلر"

محمّد لمين قوادري[1] أ.د محمّد بن علي[2]

1- جامعة أحمد زبانة- غليزان، mohamedlamine.kouadri@univ-relizane.dz
2- جامعة أحمد زبانة- غليزان، mohamed.benali@univ-relizane.dz

تاريخ الإيداع: 2022/07/30 تاريخ المراجعة: 2022/10/26 تاريخ القبول: 2022/11/10

ملخّص

يَستعرِضُ هذا العملُ مجموعة من القَضَايا المُتعلّقة بماهيّة العَالمية وآلّيات عَملها على المُستَوى الكَوْني، وسَنفهمُ تَدريجيّاً كيف يُمكنُ للإنسانِ أنْ يرتقيَ بفكرهِ ليُؤسّسَ حضارةً كَوْنيّة تَكونُ فيها أقدارُنا مُترابطة. وسَنقودُ القارئَ في أربعةِ مباحثَ مُختصَرة في جولةٍ نَطّلعُ فيها على تَجربةِ العالمية بأبعادِها الفلسفية. وسنركّزُ في سياقِ بناءِ مُناقشتنا على سُؤالِ السّلام العالميّ عند "إيمانويل كانط" والملامحِ الأخلاقيةِ للفنون الخطابية عند "يورغن هابرماس" وتأويليّة "جوديث بتلر" للتّفكير الأنانيّ والصّحّة الكونيّة.

الكلمات المفاتيح: سلام عالمي، تّفاعل، أنانيّة، صحّة كَونية.

An approach between Kant's world peace project, Communicative Action of Habermas and Judith Butler's cosmic health

Abstract

We aim through this research paper to analyze the nature of universality and to scrutinize the mechanisms of its operation at the cosmic level. We invite the human to establish a cosmic civilization that connects us all. This work includes four brief sections on the experience of the world in its philosophical dimensions. We are going to deal with three very important personalities: "Kant" and his cosmopolitanism, Communicative Action of "Habermas" and the experience of cosmic health of "Judith Butler".

Keywords: World peace, Interaction, selfishness, cosmic health.

Une approche entre le projet de paix mondiale de Kant l'action communicative de Habermas et la santé cosmique de Judith Butler

Résumé

Nous visons à travers ce document de recherche à analyser la nature de l'universalité et à saisir les mécanismes de son fonctionnement au niveau cosmique et à comprendre progressivement comment l'humanité peut élever sa pensée pour établir une civilisation communautaire dans laquelle nos capacités sont interconnectées.. Cet article comprend quatre brèves sections sur l'expérience du monde dans ses dimensions philosophiques, Nous allons traiter de trois personnalités très importantes: "Kant" et son cosmopolitisme, l'action communicative de Habermas et l'expérience de la santé cosmique chez "Judith Butler".

Mots-clés: Paix mondiale, Interaction, Égoïsme, Santé cosmique.

المؤلف المرسِل: محمّد لمين**قوادري،** mohamedlamine.kouadri@univ-relizane.dz

توطئة (مقدّمة):

تُشير العَالمية إلى بُلوغِ الوَعْي الإنسانيّ مرحلةً مُتقدِّمةً جدّاً من التّفكير؛ تَقدُّمٌ غيرُ محدودٍ وتَحرّر تَدريجيّ للإنسان من عَقيدةِ الانتماء المَحليّ، قوميّاً كان أم وَطنيّاً. ولَقد حاولَ الفِكرُ الأُوروبيّ الحديث في حُلّته التّنويريّة رصدَ أُسسِ هذه الظّاهرة في تَجربة تُعبِّرُ في صورتِها الأكثر طُموحاً عن رغبةٍ عارمةٍ في صياغة برنامج نَظري مُهتمٍّ بتفكيكِ الملامح الإيديولوجيَة والمَعرفية لِلعلاقةِ بين الذّات والآخر في مَجرى التّواصل الثّقافي والحضاريّ بين الأُممِ من جهة، والتّواصل السّياسي القائم بين الفرد والسُّلطة من جهةٍ ثانية.

ومِن الواضحِ أنَّ هذا العمل ماهُو في حقيقةِ الأمرِ سِوى استجابة حتميّة فَرضَها السِّياق الإيديولوجيّ والفلسفيّ الّذي تُمارَسُ فيه السُّلطةُ كَملكيّة حسبَ تَحديد "ميشال فوكو" "Michel Foucault". وكلُّ ذلك يَجري في عَصرٍ أَضْحت فيه الحُريّة والرّغبة في الاعترافِ المُتبادَلِ بين الذّات والآخر شرطاً ضرورياً للحياةِ الجيّدة. ومن هُنا تَظهَر الحاجَة الماسّة لطرحِ الإشكال التّالي:

– ما معنى أنْ تكونَ عالميّاً؟

– وكيف تَعاملَ الفكرُ الغربيّ مع العالمية؟

إنّ مُقاربة العالمية الّتي سَأتناولُها هنا ستَكونُ قائمةً على أُسسٍ مَكينةٍ وغير مُهتمّةٍ بالفُروق الوَصفيّة. وسنُحاولُ في سِياقِ بِناءِ مُناقشتنا رسمَ خارطةٍ يتمُّ من خلالِها ضَبطُ الوحدات الفكريّة المُرتبطة بالانتماء والهُويّة والكشف عنِ الكيفيّة الّتي استقبلَ بها الفكرُ الأوروبيّ العالمية مُستَخدمين في ذلك أربع مُقاربات تَأسيسيّة وهي كالتّالي:

✓ قراءة سريعة في مشروع السّلام الدّائم عند "إيمانويل كانط" "Emmanuel Kant".

✓ "هابرماس" "J_Habermas" ورهانات التّواصل الشّفاف.

✓ كلامٌ مُثيرٌ في الأنانيّة والصّحة الكَونية: تحليل "جوديث بتلر" "Judith Butler" جنباً إلى جنبٍ مع تَحليل "إليزابيث وارن" "Elizabeth Warren" و"بيرني ساندرز" "Bernie Sanders".

وقَد اعتمدنا في ذلك على التّحليل كإجراءٍ مَنهجيّ، وهُو لا يُعطي طبعاً نتائجَ جاهزة وقَطعيّة أو مَعرفةً يُمكنُ امتلاكُها، بلْ إنّ القَصدَ من وراءِ استخدام التّحليل إنّما هُو فحصٌ انتقاديّ لِلكيفيّة الّتي استوْعَبت بها مُختلف النُّصوصِ الفلسفية تَجربة العالمية، وذلك مِن خلالِ تعامُلنا مع شخصيّات فلسفية في غايةِ الأهميّة. وفهمُ تالياً كيف يُمكن لِلحربِ وقمعِ الحُريّة والعُنصريّة والأنانيّة أنْ تُؤدّي إلى تَدميرِ ترابُطِنا الكَوْني.

سَنَتعرّف في هذه الوَرقة البَحثيّة على الأبعادِ الإنسانيّة لِلعالمية كَمشروعٍ فلسفيّ، ونُبيِّن حاجةَ الإنسانِ المُعاصر لِقيمِ السّلمِ والتّفتحِ والتّعاطفِ الحَيويّ والحِوارِ العَادل بين كلِّ الأطرافِ بعيداً عن الأنانيّة وعن جميعِ تَمظهُرات التّهميشِ والاضطهادِ والعُنصريّة تحت أيِّ مُبرِّرٍ كان. في الحقيقة نُريدُ التّعبيرَ بكلِّ حُريّة عن رفضِنا المُطلق لِمُختلف الخِطابات الرّاديكالية الّتي تَختزلُ الوُجودَ في مركزيّة الذّات المُتعالية. فَوحدةُ المصيرِ تَضعُنا أمام حَتميّة التّفكير في الآخر والانتقالِ من الإطارِ المَحلّيّ نحوَ الإطارِ العالميّ. وقد تَبدو الأمورُ صعبةً بعضَ الشّيء إذا نحنُ أخذنَا بعينِ الاعتبارِ تَعدُّد الثّقافات والأعراف وتَنوُّع الأعراق والتّجمعات ناهيك عن تَفاقم النِّزاعات الدُّولية والإقليميّة وحتّى الوطنية مع تَصاعدٍ نِسبيّ في جرائم الاضطهادِ ممّا يُهدّد الاستقرار ويجعلُ فُرَصَ التّقاربَ بين الذّات والآخرِ عُرضةً لِلتّلاشي. وإذا ما تأمّلنا القضيّة جيّداً، فإنّ الحياةَ الجيّدةَ تَبقَى مُمكنةً عندما نَعرفُ كيف نُحوِّلُ ضُعفَنا المُشترك إلى التزامٍ مُتبادلٍ وتضامنٍ حَيويّ ونضالٍ مُشترَكٍ دون التّقيُّد بِشرط مَعرفةِ الآخر، ومن هُنا تَأتي أهمّيّة هذا العمل.

1- العالمية: استرجاع وتجديد

لقد اكتسبت العَالمية حظوةً لا نَظيرَ لها، ومَع ذلك فنحن نَعلمُ أنّها تَبقى مُجرّدَ حُلمِ شُعوبٍ وأُمَمٍ تَعيشُ على وقعِ الاضطهاد السّياسي بِما يحملُه من دَلالات الاستبداد والتّعسُف وقَمعٍ لِحُريّة الرّأي والتّعبير وتَكبيلٍ للعقول. وجَميع الفُروض الّتي تَدلُّ عليها العالمية قَد تُشكّل بِالنّسبة لِبعضِهم خطراً حقيقيّاً. يَتَبيّن لنا من الوَهلة الأُولى أنّ هُناك مَقاماً مُشتركاً واضحاً غَير أنّنا بِحاجة لِرصد آليات وكيفيَّة العمل من أجلِ تَحقيقه. وفي الحقيقة، فإنّ حَاجَتنا للعالميّة اليوم تَبدو أَكثرَ من أيِّ وقتٍ مَضى خاصّة على خَلفيَة المَشاكل المُتعلّقة بتقييم مَرْدُود السّياسات الوطنية والقومية والّتي أثبتت فشلَها في التّعامل مع المُواطنين، ونتيجة لِذلك فإنّ التّصوُّر الخاصّ الّذي تَتبنّاه الفلسفة يَفترض العَيْشَ على حُدودٍ مُزدهِرة، تَجعل كُلّ فردٍ يَشعُر بانتمائه لهذا الكَوكب، لكنّ هذا الضّرب الخاصّ من الشُّعور يَخضَعُ لِرقابةٍ ضِمنيّة من طرف الإرادات الحاكِمة، غَير أنّنا وتَحت تأثيرِ المُناقشات العَقليَة سنُخضِع بعضَ الفُروضِ المُتعلّقة بهذا الموضوع للتّنقيب الفلسفيّ.

في البِداية أعتقدُ أنّنا بِحاجةٍ لِنرى المَعنى الحقيقيّ لِلعالميّة الّذي لا يُمكن ضَبطُه إلاّ من خِلالِ التّمييز بينها وبين العَوْلمة، فإذا كانت العَولمةُ هِي إرادةُ هَيْمنة ونَفيٍ ومُحاولةٌ هادفة لاختزالِ الوُجودِ بِمفهومه الأوسع في مَركزيّة مُتعالية فإنّ العَالميةَ غير ذلك، فهِي طُموحٌ إنسانيّ للارتِقاء بالخُصوصيّة المحلّيَّة إلى المُستوى الكَوْني فَيُصبحُ حينَها العالمُ؛ الوطنُ الأكبر. يُقدِّم الدّكتور "إبراهيم مذكور" في مُعجمه الفلسفيّ تعريفاً لِلعالمية على أنّها: "نَزعة تَرمي إلى اعتِبار الإنسانية أُسرة واحدة وَطنها العالَم وأعضاؤها أفراد البَشر جميعاً دون اعتبار لاختِلافِهم في اللُّغة أو في الجِنس أو في الوطن قال بها الرّواقيُّون قديماً وأخَذ بها بعضُ المُعاصرين"[1].

العَالمية بهذا المفهوم هِي تَوجُّه إنسانيّ نَبيل تَنظر لكلِّ فردٍ على أنّه إنسان قَبل أنْ يَكون مُسلماً أو كُرديّا أو يَهوديّاً أو أسْوَد أو أبيض اللّون ودون إعطاء أيّ اعتبارات للحدود والرُّقع الجغرافية إنّ الإطار الّذي يجبُ أنْ نفهمَ من خلاله العالميّة يَجري استخدامُه من خِلال برنامج "غراس لِلمعرفة الكونيّة"، كَمطلبٍ معرفيٍّ وأخلاقيٍّ يَفترضُ أربعةَ معالم جَوهريّة. أوّلُها، التّوازن العَاطفي الّذي يَهدفُ لِتحقيقِ التّواصل الحضاريّ والثّقافيّ بين مُختلف الأُمم والشُّعوب مع الاحتفاظ بالجانب الخُصوصيّ شريطةَ عدم ظهوره كعائقٍ يَحُولُ دون تحقيق التّواصل. ثمّ هناك الحِسُّ الإنسانيّ المُشتَرَك بما يتضمّنه من أَواصِر التّعاطف الحَيَويّ مع الأقلّيّات الّتي يَجري اضطهادُها وتَهميشُها وكذلك مع الأُمَم الّتي تُعانِق المُعاناة. أمّا المَعلَمُ الثّالث فيتمثّل في القِيم الإنسانية وهناك رابعاً القِيادة والتّفاعل مع الفضاء الكَوني ونَقصدُ بذلك الانفتاح على مَشاهد الحياة ومُعايشة الأحداث العالميّة مع السّعي لأنْ تكونَ الذّات طرفاً فاعلاً في القضايا الحسّاسة ذات البُعد العالميّ كالدّفاع عن حُقوقِ الأقلّيّات ونبذ العُنصريّة[2].

2- "إيمانويل كانط" وبداية التّفكير خارج حُدود الذّات

نَشأت العالميّة على خَلفيّة بعض التّحوُّلات العَميقة الّتي مسّت التّنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسّياسية، فَفيما مَضَى لم يكُن هُناك تَجريدٌ للحياة السّياسيّة حيث كانت حياة الشّعب وحياة الدّولة مُتطابقتين، فالإنسان هُو المَبدأ الواقعيّ للدّولة، غَيرَ أنّ ذلك لمْ يَدُم طويلاً لِتحُلَّ ثُنائيَّة مُجرّدة مَحلّ ذلك التّطابق. وهذا هُو الشّكل الّذي يَظهرُ فيه التّعارض المُجرّد بين الطّرفين. خلالَ القَرنين 17و18 وتَزامناً مع عصرِ الأنوار أُرسِيَت الأُسُس الفلسفية والسّياسية للعالميّة. يَذهبُ الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" "Emmanuel Kant" من خلالِ عَمله الموسوم بـ: "مشروع السّلام الدّائم" "Vers la paix perpétuelle" إلى نبذِ الصّراعات والحُروب على اعتبار أنّه لا طائلَ منها سِوى نَشر الرُّعبِ والفَزع و تَوسيع الهُوَّة بين الأفراد. وحَسب "كانط"، فإنّه لا يَتمُّ حِفظُ السّلام العالميّ

إلاّ بإعادة النّظر في طَبيعَة أنظمة الحُكم من حيث علاقتها بالتّقويم الخُلقي. ونحن نَعلمُ أنّ النّزاهة هي أفضلُ سياسةٍ. وبهذا يَكون "كانط" قد أَعاد الاعتبار للكرامة الإنسانية. وهُو يَدعو صَراحةً إلى طرحِ القوانين الوطنية جانباً والعملِ على صِياغة دستورٍ عالميّ يَتمتّع بالسُّلطة المُطلَقة حتّى عندما يَتعلّق الأمر بِقضايا الفساد الّتي تَخصُّ الحَاكم والملك وكِبار المُستشارين(3).

إنّ حَماسة "بيرتراند راسل" "Bertrand Russell" السّياسية وتَجنُّده للدِّفاع عن قَضايا السِّلم العالميّ ووقُوفه إلى جانبِ الأقليّات المَقهُورة كانت سبباً في اعتقاله مرّتين؛ الأُولى كانت في عام 1918 لمدّة ستّة أشهر بِسببِ اتّخاذه مَوقفاً مُعارضاً من الحرب العالميّة الأولى، والثّانية كانت لفترةٍ وجيزة سنة 1961 وعمره يُناهز 89 سنة إثرَ مُشاركته في التّظاهرات السِّلمية ضدَّ التّخصيب النّوويّ. لقد كان تَصوُّره للعالمية في حَقيقةِ الأمرِ تَكملةً لمشروع "السّلام الدّائم". فالعالَم بِحاجةٍ إلى الحِكمةِ والتّعاونِ والعَطفِ الإنسانيّ بدرجةٍ مُتساوية وهُو الأمر الّذي نَفتقِر إليه في الوقت الحالي. كما أنّ الحَرب في نظرِه ليست الوسيلةَ الأنْسب لِحلِّ المَشاكِل والخِلافات فَهي تَزيد من درجةِ الهُوّة بين الشُّعوب، ولا يُمكن حلُّ هذه الصِّراعات إلاّ بالتّفاهم والتّراضي والحِوار والتّخفيف التّدريجي من الحِقد والكراهية بين الأُمم وذلك بِنشر ثقافة التّسامح بَين الثّقافات. ناهيك عن إيمانه بِضرورة إنشاء حُكومة واحدة ذات صِبغة عالميَّة تَتمتّع بالسُّلطة المُطلقة لِحمايةِ الشّعوبِ الّتي يَجري اضطهادُها وحِرمانُها من التّعبير والمُعارضَة. وتَسليط الرّقابة على نشاط الحُكومات الوَطنية وكَيفية تَعاملِها مع مُواطنيها. لهذا ظَلّ "راسل" يُؤكّد أنّ الشّيء الوحيد الّذي يُحرِّر البشر هُو الاتّحاد والتّلاحم(4)، فَمن واجب كلِّ إنسان أنْ يُساعدَ بِنزاهةٍ على إقامةِ آليّة عالميّة قَويّة وفَعّالة بحيث تَشترك في تَشييدها جَميع الشُّعوب والأُمَم والعَمل على تَأسيسِ حضارةٍ إنسانيّة واحدة دون إقصاءٍ لِأَيِّ ثَقافة من الثّقافات الأُخرى.

يُعلّق "جون ستيوارت ميل" "John Stuart mill" في الفَصل الثّاني من كتابه "الحُريّة" "On Liberty" عن رأيه في منعِ الفردِ من التّعبير عن رأيه بأنّه حتّى ولَوْ كانت الإنسانيّة كلُّها على رأيٍ باستثناء شخصٍ واحد، وكان لِهذا الشّخص رأيٌ مُخالفٌ لِرأي الإنسانيّة جَمعاء لمَا كان للإنسانيّة حقٌّ فرضِ الصّمت عليه. وإنْ لم يَكن لِرأيٍ مَا أيُّ قيمةٍ إلاّ عِندَ صاحبِه، فَمن الواجبِ احترامُه والدّفاع عن حقّه في أنْ يَقولَ ما يريد حتّى وإنْ كان الشّخصُ المُدافعُ عنه لا يوافقُه فِيما يقول بالضّرورة. وبِمُجرّد أنْ نمنعَ شخصاً من التّعبيرِ عن رأيه نكونُ قد سَلَبْنا الإنسانيّة كلَّها حقَّها(5).

كانت معاناة الشُّعوب من شَتّى مَظاهرِ الاضطهاد الوَطنيّ عاملاً حاسماً وهامّاً في تَاريخ البَشرية. خِلال القَرن العِشرين تَأسّست هَياكل عالميّة تَتَمتّع بالشّرعية الدّولية لِمُراقبة نشاط القَوميّات الوطَنية. ولْنَأخُذ على سبيلِ المِثال "مَحكمة العدل الدُّولية" "Cour internationale de justice" وهي بِمثابة محكمة عَالمية تُعنى بالنّظرِ في مُختلف المَسائل القضائيّة ذات البُعد العالمي. في بعضِ الدّول يَتعرَّض المُواطنون للتّعسف والاستبداد من قِبلِ حُكومتهم الوطنية، ومَحكمة العَدل الدُّولية الواقِع مَقرُّها بـ "لاهاي" "La Haye" "هولندا" "Hollande" مُجَنّدة للنّظر في مثلِ هذه القضايا وَوَضعِ حدٍّ لِمثلِ تلك المُمارسات. فَهيَ تُصدِرُ من حينٍ لآخرٍ قرارات وتُوجِّه تَعليمات لِبعضِ الحُكومات تُطالبُهم من خلالِها بِضرورة السّماح للمُواطنين بالظّهور الحُرِّ والتّعبير عن مواقفهم دون مُمارسة أيّ ضَغطٍ عليهم.

3- الملامح الأخلاقيّة للفُنون الخطابية: "هابرماس" ورِهانات الشّفافية

يُمثّل "يورغن هابرماس" "Jurgen Habermas" الجِيل الثّاني مِن النّظرية النّقدية الّتي أُطلِقَ عليها بَعد عَوْدةِ مُؤسِّسيها من المَنفى "مدرسة فرانكفورت" "École de Francfort"، ويُمكن القول إنّ تَحليلات "هابرماس" النقدية للسِّياسات الوطنية جَعلت منه أَبرز مُفكّري الفلسفَة الألمانية خِلال القرن العِشرين. وتتميّز مُقاربته قبل كلِّ شيءٍ بالتزامِها _ كَمشروعٍ نَظريٍّ وعَمليّ _ بإعادة صياغة المِيكانيزمات الّتي يَجري من خلالِها التّنظير لِلعلاقة بين الذّوات، والنّموذج الّذي يَكتب له "هابرماس" يَتجاوَزُ الحُدودَ الوَطنية والقَومية لِيَجِد لِنفسه مكاناً في الفَضاء العالمي، وهذا المَشروع لَن يُكتَب له النّجاح إلاّ إذا أعَدنا النّظر في شُروط ومَعايير التّواصل. وظَهرت مُجمل هذه الأفكار في كِتابه المَوسوم بـ: "الوَعي الأخلاقيّ والفِعل التّواصُليّ" " Moral Consciousness and Communicative Action".

يَنطلِق "هابرماس" مِن استبعاد جَميع أشكال التّواصل الغائيّ الّذي يَنظر للآخر كَهدف استراتيجيّ يُرجى من ورائه تَحقيق مصالح شَخصية، بَل يَجب أن تكون الغاية القُصوى الّتي تُتَرجَّى مِن وراء التّواصل هي التّفتح على الآخر وتَقبُّل آرائه استناداً على معيار أَقوى حُجّة بِغَضّ النّظر عن الانتماءات الثّقافية والعِرقية والتّوجُهات الإيديولوجية مع احتفاظ جَميع الأطراف بِحقّ النّقد والنّقض ومُعارضة ادِّعاءات مُخاطبِيهم دون أنْ تُمارَس عليهم أيّ سُلطة أو هَيمنة[6]، وبِهذا يَكون "هابرماس" قَد أَحدَث قَطيعة مع جَميع المواقف الفلسفية الّتي تتبنّى نَظريات القُوّة والصّراع وحتّى مع الهَياكل الإيديولوجية المَركزيّة بِتقنيّاتها الإداريّة الّتي تَتَّخذ من المُواطنين ذَريعةً لمُمَارسة السُّلطة والّتي تَنفرد في اتّخاذ قَرارات لها أغراض شخصيّة تَخدُم مَصلحة الطّبقة الحَاكمة، وتُهدِّد بِاستمرار جَميع أولئك الّذين يَرفضون المُصادقة على إيديولوجِياتها بالسّجن والنّفي والفصل من العَمل مُستعمِلَة في ذلك القُوّة القَمعية.

تُنبِّهنا "جوديث بتلر" "Judith Butler" إلى الحَاجة الحَيويّة لِلمُساواة في التّعامل مع الأحداث الخطابيّة وحتّى التّجمُّعات الجَماهيريّة. وأعتقدُ أنّه يُمكنُنا أنْ نفهمَ هذا الأمرَ فهماً حدْسيّاً إذا ما نحن انتَبهنا إلى معنى كلمة الحَجب كَما استخدمها "جون إينازو" "John Inazu". وتُقدِّم "جوديث بتلر" في الفصلِ الثّاني من كتابِها "مُلاحظات نحو نظرية الأداء في التّجمع" "Notes Toward a Performative Theory of Assembly"، والمَوْسوم بـ: "تكتّل الهَياكل وسياسة الشّارع" ""Bodies in Alliance and the Politics of the Street" تَحليلاً موضوعيّاً تنتقدُ من خلاله ازدواجية المعايير في التّعامل مع الخِطابات الجماهيرية بِحيث يتمُّ السّماح بالظُّهور"Apparaître" فقط للخطابات المسرحيّة الّتي تُظهِرُ حياة الشّعب والسُّلطة مُتطابقَتين بَعيداً عن كلِّ تجريدٍ ثنائيّ وهذه الميلودرامية تُؤدِّي إلى استحالة تَصوُّر وجود شَفافية مُوازيَة لِلبُنية الأنطولوجية لذلك الخِطاب. وحتّى يَكون هُناك تواصلٌ شفّاف لا بُدّ من تَوفُّر شُروط تَضمن له مِثاليّته تَتمثّل إجمالاً في المُساواة في الفُرص، حيث يَحصل جَميع الأطراف على فُرصٍ مُتساوية لإبداء آرائِهم، فَلا يَتمُّ مَنح الفُرصة فقط لأُولئك الّذين يُقدّمون آراءً تَتَماشى مَع إرادة الخَطيب، بَل يَجبُ الاستِماع أيضاً لآراء أولئك الّذين يَتبنّون وَجهات نَظر مُعارِضَة لإيديولوجيات السُّلطة والسّماح لهم بالظُّهور في السّاحات العُموميّة وعلى شَاشات التّلفزيون مَع احترام حقّهم في الحُرّية والتّعبير عن المواقف دون تَجاهلٍ أو قمعٍ أو تَقزيمٍ أو إخفاء[7].

يُؤكّد "هابرماس" في كِتابه: "التّقنية والعلم كإيديولوجيا" "Technology and Science as Ideology" أنّ النّموذج المرغوب فيه لِلدّيمقراطية هو الّذي يُمكّن كلّ المُواطنين من التّعبير عن أفكارِهم وانتماءاتِهم الثّقافية

وتَوجُّهاتهم الإيديولوجية، وعَلى هذا الأساس فإنّ السُّلطة التّواصلية هي سُلطة لا قَمعيّة ولا قَهرية وهذا النّموذج لا يكون إلاّ في دولة الحقّ والقانون. كلُّ هذا يُظهِرُ تَجَذُّد "هابرماس" للدّفاع عن قِيَم العدالة والحرّية والحقّ وسَعْيه لإعادة إحياء نَظرية العَقد الاجتماعي عند "جان جاك روسو" "Jean Jacques Roussseau" بِجعل العلاقة بين السُّلطة والمُواطنين أُفقيّة بَدَل أنْ تَكونَ عَموديّة. وبهذا فإنّ مَشروع "هابرماس" يَهدف لِخلقِ فضاءٍ تواصليّ حَقيقيّ بين الفردِ والسُّلطة يَنطلِق من بِناء علاقةٍ قِوامها الاحترام.

تتَمتّع هذه المَعايير الأخلاقية ببُعدٍ عالميّ كَونيّ، لن يُؤتَى لها التّجسد إلاّ في ضَوء دولةٍ دستوريّة – دستوريّة في مَضمُونها وليس في ظاهرِها– لا تَقمع الحُريّة وتَحترم رأيَ الجَميع وتَتقبّل النّقد ولا تُمارس العُنف. وهكذا يكون "هابرماس" مُنشغلاً بِسنّ مَعايير كَونية تَكون بالمِرصاد للقوميّات الوطنيّة وتتمتّع بالقُدرة على حلِّ المُشكلات الّتي يتخبّط فيها المُواطنون وتُعَمِّق ثَقافة السّلام والحِوار والتّواصل. الأمر الّذي جَعل بعضَ المُفكّرين المُهتمِّين بأفكاره يَذهبون إلى اعتبار أنّ أخلاقيّات النّقاش المفتوح تُؤسِّس لمجتمعٍ مدنيّ عالميّ. وعلى سَبيل المِثال يَذهب "جان كوهن" "Jean Cohen" إلى أنّ تِلك الأخلاقيّات تُمثل نظريّة سِياسية تَعمل على التّأسيس لمُجتمعٍ عالميّ ديمقراطيّ يَستوعِب التّعدد ويُكرِّس الحِوار.

يَتحدّث "هابرماس" عن الفعل التّواصلي العَقلاني والّذي يُسمِّيه أحياناً بالعقلانية التّواصلية. في الحقيقة، إذا مَا أردنا أنْ نَبنيَ مُجتمعاً تواصليّاً عَالميّاً عَلينا البحث عن مَرجعيّة عالمية تَجمع بَيننا جَميعاً وليس ثَمّة مَرجعيّة تُضاهِي مَلَكَة العقل. يُوضِّح "هابرماس" في كتابه: "الفكر ما بَعد الميتافيزيقي" "Postmetaphysical Thinking" طَبيعة وخُصوصيّة هذا العقل التّواصلي؛ _الّذي يُجرِّده تماماً من جَميع الاعتبارات الميتافيزيقية المَوروثة من التّصورات اللاّهوتية وتقاليد فلسفات الوَعْي الّتي تَجعل منه كائناً فينومينولوجيّاً مُنطوِيّاً على نفسه_ عقلٌ مُتحرِّر من كلِّ رهانٍ فلسفيّ أو قُيودٍ لاهوتية، مُتجسِّدٌ ومُنخرطٌ ومُتحقّقٌ في العالم ككائن تاريخيّ بالمفهوم الميرلوبونتي وليس العقل الترنسندنتالي بمفهوم المِثالية الألمانية. وكلّ ذلك يَكشف تفضيلَه لِنَموذج التّفاعل المُستمرّ بين الذّوات. وعلى هذا الأساس، فإنّ الحقيقةَ عند "هابرماس" تَتجاوز حُدود الذّات ونِطاقها، فَهي عابرة للذّات لا تَعترف سِوى بِشيءٍ واحدٍ فقط وهُو العقل بِما يُنتجُه من حُججٍ وبراهين. ونَحن نَدعم مِثلَ هذه الآراء، ونقول يَجب أنْ نتعلّم كيف نَستبعِد في تواصلِنا مع الآخر جَميع الاعتبارات اللّغوية أو الدّينية أو الإثْنيَّة كَما لا يَجب أنْ نُقيم تَواصلنا على مَصالح وأهداف شَخصيّة وإستراتيجيّة. وبالتّالي فإنّ مَشروعنا لا يَختلف عن مشروع "هابرماس" يرمي لِبلوغ عقلانيّة جَديدة يُسمِّيها العقلانية التّواصلية وليس عقلانية أدائيّة غَرضُها تَحقيق منافِع شَخصية.

لَقد أثْمَرت جُهود ومَساعِي مَدرسة فَرانكفورت على وجهِ العُموم و"يورغن هبرماس" على وَجه التّحديد نتائجَ مُرضِية على الصّعيد السّياسي، فالدّيمقراطية التّشاوُريَّة الّتي خَصّص لها "هابرماس" أعمالَه المُتأخِّرة ابتداءً من التّسعينيات تُعدُّ أهمَّ إنجازٍ في مَيدانِ الفلسفة السّياسية المُعاصرة، وهِي امتدادٌ وتَوسِيع لِمجالِ الفعل التّواصليّ والدّيمقراطية التّشاوريّة هِي البَديل الّذي يَطرحُه "هابرماس" للدّيمقراطية اللّيبرالية؛ ديمقراطية تَقوم على أساسِ جَماعةٍ مُتواصلة خَالية مِن أيِّ هيمنةٍ عَدا هَيمنة أفضل حُجّة. وهكذا يُضفِي "هابرماس" من خلال الفعل التّواصلي وأخلاقيّات النّقاش لَمسته الخاصّة على مشروع العالمية مُنتقداً جميع أشكال الدّيمقراطيات الغائيّة الّتي لا تَمتثل لِمبدأ التّواصل الشّفاف والعَقلاني والّتي تُمارس سُلطتها على المُواطنين بِطرقٍ إستراتيجية تتحوّل في ظِلّها كائنات العقل والحرّية إلى مُجرّد أشياء مُستلَبَة الحرّية والتّفكير. ومِثل هذه الدّيمقراطيات الّتي لا تتَواصل بِطُرقٍ شفّافة

وأخلاقية تَتَحمّلُ مسؤوليّة الوَضع المُزري الّذي أدّى إلى إحداث قطيعةٍ بين الأطراف المُتواصلة وربّما التزام الصّمت تُجاه قَضَايا الرّأي العامّ والإعْراض عن الانخراط في الفَضاء العُموميّ.

إنّ التّواصل الدّيمقراطي القائم على التّشاور كَفيل للدّفع بالقوميّات الوطنية للالتحاق بمصاف الدّيمقراطيات العالمية الّتي تَنطلق في أداءِ مهامها من الفضاء العُموميّ، وتتجسد في هذا الفضاء العالمية لأنّه ساحةٌ لبحث قضايا الرّأي العامّ والمصلحة العامّة وهُو أساس السُّلطة. والدّيمقراطيات التّمثيليّة على حدِّ تَعبير "هابرماس" مُطالَبة بتقبُّل المُساءلَة النّقدية ومُراقبة نشاطها للتّحقق من شرعية مُمارساتها وممّا إذا كانت القوانين والسّياسات تَخدم الصّالح العامّ أم لا. وهِي العمليّة الّتي يَتحرّر من خلالِها الفعلَ السّياسيّ والاجتماعيّ من فِعل الذّات إلى الفِعل البَيْنذاتي الأخلاقيّ، فَيصير ساميا كونيّاً وإنسانيّاً لاعتمادِه على إيتيقا الحِوار القائمة على ادعاءات الصّلاحية المُتمثّلة في الحُجج، والصّدق والحقيقة [8].

4- كلامٌ مُثيرٌ في الأنانيّة والصّحّة الكَونية: تحليل "جوديث بتلر" "Judith Butler" جنباً إلى جنبٍ مع تَحليل "إليزابيث وارن" "Elizabeth Warren" و"بيرني ساندرز" "Bernie Sanders".

سنقدِّم فيما يلي قِراءةً جَريئةً لمجمُوعَةٍ واسعةٍ من الافتراضات المُتعلّقة بالأزمة الصّحية وَباء " Corona Virus 19"، الّتي وَضعَتنا أمامَ حَتميّة إعادة النّظر في تَوزيع العدالة الاجتماعية والتّفكير بِجدِّيَّة في المُساواة. وفي الحَقيقة، إنّ فيروس كورونا وحدَه لا يُمارس العُنصريّة ولا يَعرفُ التّمييز بين البَشر فَهُو يُعاملُنا جميعاً على قدم المُساواة، فالكلُّ مُعرّضٌ لِخطرِ الإصابة والكُلُّ تحت تَهديد فكرة الموت. ويُعتبَرُ هذا العمل تَدخُّلاً استفزازيّاً يُثير غَضبَ أولئك الّذين قَصروا استخدامَ اللُّقاحات ذات النّوعية الرّفيعة على أنفسِهم وأهلهم فقط، أعتقد أنّني لَو كُنت مَكانَهم لمَا شَعرت بِسعادةٍ غامرة بفكرة نَجاتي وأَهْلِي من المَوت بينما الشُّعوب الأُخرى تُعاني.

غيرَ أنّ "ألكسندر كوجيف" "Alexandre kojève" الّذي كانَ موضعَ نِقاشٍ في رسالة الدّكتوراه"Ph.D" الّتي تقدّمت بها "جوديث بتلر" سنة 1984 لـ "جامعة ييل" "Yale University" تحتَ عُنوان: مَوْضُوعات الرّغبة عند هيغل، كوجيف، هيبوليت وسارتر"."The projects of desire in Hegel, Kojeve, Hyppolite and Sartre" يَتحدّث عن حِكمة تُلحّ على اللّحظات العنيفة والدّمويّة في تاريخ البَشريّة وهو بِذلك يُعيدُ تأويلَ "جدليّة السّيد والعبد" "Dialectique du maitre et de l’esclave" للفيلسوف الألماني "جورج وليام فريدريك هيغل" " Georg Wilhelm Friedrich Hegel" بعيداً عن مَعَالمه العقلانيّة. خِلال أحداث مايو 1968 كان "كوجيف" قد أعلنَ أنّه مادام الدّم لمْ يَرُق فإنّه لم يَحدث أيُّ شيء. وعمل "هيغل" المَوْسُوم بـ "فينومينولوجيا الرُّوح" " La Phénoménologie De L’esprit"، يصحُّ اعتباره رواية عالميّة عن التّاريخ الكَوْني للبشريّة تَكونُ فيه الصِّراعات الدّمويّة لا التّعاطف الحيويّ هي الّتي تُحفّز الأشياء وتُحرِّكُها نَحو نهايتِها السّعيدة[9].

تناولت "جوديث بتلر" قَضايا حَسّاسة جدًّا وفي غَايةِ الأهميّة ترتبطُ بتّجربةِ الأنانيّة والفردانية. ومِن خلالِهما تُبيِّن كَيف عَمل بَعضُ رجالِ السّياسة على تَسييس الأزمة الصّحية وتَسخيرِها لِتحقيقِ مَراميهم السّياسية، وكَيف يُمكن للأنانيّة أن تؤدِّي إلى تَدمير تَرابطنا الكَوني؛ بَعضُهم كان السّباق في اقتناء اللُّقاح المُضادّ لِلوباء دون الاهتمامِ بحياةِ الآخرين وهذا يَكشفُ ضِمنيّاً اعتقادهم بأنّ حياتَهم أكثرُ قيمةً وأَحقُّ تقديراً من حياةِ باقي الأفراد وهُو ما تُسمِّيه "بتلر" "تعظيم الذّات" "Self - aggrandizement". وممّا لا شكَّ فيه أيضاً أنّ رجالَ الأعمال حَرِصوا على رأسملةِ الأزمة الصّحِّيّة وإذا كَان هُناك ما يُمكِن قولُه في هذا السّياق أو على الأقلّ الإشارة إليه في لُغةٍ رَمزيّة

تَضع القارئ أمَام حَتميّة تَأويلها لِاستخراج المَعاني الكَامنَة خَلفَ هذه السُّطور هُو أنّ اللُّقاحات ذات النّوعية الرّفيعة كانت في مُتناوَل فِئة مُعيّنة من الأشخاص دون غيرِهم.

وهذه النّقاط المُشار إليها آنفاً لا تُمثّل إلاّ مَظهراً من مظاهرِ الأنانيّة واللاّمساواة، فإلى جانبِ هذه المادّيّة المُتطَرِّفة هُناك مادّيّة أُخرى لا تقلُّ جشعاً وأنانيّةً عن الأُولى. ففي الوقتِ الّذي كان فيه المُواطنون يُكابِدون مَشقّة البَحث عن جُرعات من الأوكسجين لإنقاذِ حياتِهم أو حياةِ أقاربِهم استغلّ بعضُهم هذا الوضع الصّحّيّ لِتعزيزِ قِوَى الانتقام داخل مناطقِ الوباء. غَير أنّي مِن جِهتي أعرفُ كِلاباً عواطفُها أفضلُ وأعمقُ من عواطفِ كثيرٍ من النّاس.

تُناقشُ "جوديث بتلر" مسألةَ الصِّحّة العُموميّة من وِجهة نَظر ديمقراطيّة اجتماعيّة وهي لا تَختلفُ في طرحِها للقضيّةِ عمّا اقترَحته "إليزابيث وارن" "Warren Elizabeth" و"بيرني ساندرز" "Bernie Sanders". وفي ضَوءِ هذه المُقاربات يَختفي مَعنى العُنصريّة في تقديرِ الحياة لِتحُلَّ مَحلّها رغبةٌ جَماعية في المُساواة، فكلُّ الحياةِ الاجتماعية ستكونُ مُعزَّزة ببرنامج الصّحة العُموميَّة، ومِن المُمكنِ وصفُ حركةٍ كهذه بأنّها سعيٌ لإعادة إحياء التُّراث الاشتراكيّ في ثوبِ فرانكفورتي. فالرّعاية الطّبِّيَّة يجبُ أنْ تكونَ في مُتناولِ الجميع بِغضِّ النّظر عن منزلةِ الشّخص أو ما يملكُه من مالٍ. لَيس هذا فقط، بلْ يَجبُ أيضاً أنْ تكونَ الرّعايةُ الصِّحّيّة عابِرةً للأوطان، وهذا ما نقصدُه بالصّحّة الكَوْنية، إذْ يتعيَّن على كُلِّ فردٍ أنْ لا يُفكّر في نفسِه فقط، بلْ أنْ يتَعاطفَ مع الآخرين ويُبدي تَضامناً حيويّاً مع الشُّعوبِ والأُممِ الفقيرة[10].

إنّنا نَرى المَعنى الحَقيقيّ لمفهوم العالميّة، وهذه المُقاربة تتَميّز قَطعاً بِتفحُّص سُؤال الكَونية وِفقَ تَمثّل قراءةٍ مُغايرةٍ، مُبتكَرَةٍ ونَقديّة للأزمة الصِّحّيّة مع تَحديدٍ لانعكاساتها الاجتماعية والسّياسية. وكلُّ ذلك يُظهِرُ قُدرتَها على تأكيد ذاتِها في الفلسفة الغَربية المُعاصرة؛ مُقاربةٌ جَعلتنا نُدركُ بِوُضوحٍ أنّ الأنانيّة هي حاجزٌ رَئيسيّ في طريقِ الكَونية. وإنّ مَا شدّ الجُمهور إلى فكر "جوديث بتلر" هُو طريقة تَناوُلِها لِمشروعِ العَالميّة وتَعامُلِها مع مَناطقَ في غايةِ الأهميّة من الحياة اليَوميّة كالخُبث السّياسي والعُنف الأخلاقيّ والّتي لم نَكُن نَرتادُها إلى غايةِ ذلك الوقت بعبارةٍ أُخرى إنّها تُحاولُ شدّ انتباهنا إلى الوجهِ اللاّعقلاني الّذي يَختفي وراء العقلانيّة.

خاتمة

النّتيجة الّتي خَلصنا إليها بَعد النَّظر في قِيمة الافتراضات الّتي تَطرحُها هذه الورقةُ البَحثيّة تقول إنّ العالميّة لا هي مُقاربة سوسيولوجية ولا سياسية ولا حتّى هي مفهومٌ تاريخيّ، إنّها نمطٌ حضاريٌّ وثقافيٌّ مُتميِّز يَتعارضُ مع النّمط التّقليدي القوميّ والوطنيّ الّذي يفترضُ وُجودَ حدودٍ ضيِّقة تَحُول دون إبحار الإنسانِ في هذا الفضاء الرّحب الّذي نُسمِّيه "كوكب الأرض"، لِيجدَ الإنسانُ نفسَه في ظِلِّ ذلك النّمط أسيرَ عاطفة قومية أو وطنية مُعيّنة. والعالميّة من حيث هي كمٌّ غيرُ قابلٍ للقياس وغيرُ قابلٍ للتّراجع _ إنّها بالمَفهوم الهيغيلي صَيْرورة جدليّة_ فإنّ ما يُميِّزُها هُو سَعيُها لِتكونَ إنسانية قبلَ كلِّ شيء؛ هو تَغنِّيها بِقيَمِ الحُريّة والسّلام والتّعبير وتَبنِّي المواقف بطريقةٍ حُرّة. فَهي بَعد أنْ تمكّنت من التّخلص من قُيود القَوميّات الوطنيّة برُقعِها الجُغرافيّة وتَجاوُز المفهوم الضّيِّق للانتماء المَحلّيّ، ها هي تُعطي الامتيازَ لِلحاضرِ والمُستقبَل معاً وتكشفُ على نَحوٍ جَوهريٍّ القيمةَ العَمليّةَ والحاجةَ الفلسفيّة إلى انتماء كونيّ إنسانيّ.

تَفرضُ العالميّة نفسَها على أنّها ثقافة لا تُعير أيَّ اهتمامٍ للاختلافات العِرقية أو الدّينية أو اللّغويّة أو غيرِ ذلك. فَهيَ دعوةٌ صريحةٌ للتّجانس تحت رايةِ الإنسانية وكوكبِ الأرض؛ دَعْوةٌ لِلتّعاطفِ الأخلاقيّ مع الآخر بِهدف

تَحسينِ حياةِ الشُّعوبِ المُضطَهَدَة والدِّفاع عن حقوقِ الأقلّيّات. ناهيك عن الاعترافِ بحقِّ الحياة لأُولئك الّذين يَتبنّون مواقف خاصّة تُجاه قَضايا مُعيّنة دون افتراضِ القُرب أو المَعرفة أو الاحتِكاك الأنطولوجي كمعيارٍ أو شَرطٍ لذلك. ولا تعترف العالميّة بالحدودِ الوطنية إنّها عابرةٌ للأوطانِ والقارّات والقوميّات؛ موسيقى عالميّة، دولةٌ عالمية، قِيَمٌ عالمية وغير ذلك. ولا يُمكنُ النّظرُ إليها كأداة تَحليليّة بما أنّه ليست هناك قوانين لِلعالمية بلْ هناك فقط مَعالم للعالميّة.

الإحالات والهوامش:

1- إبراهيم مذكور (1983)، المُعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، ط 1، القاهرة، ص 116.

2- سرور قاروني، التّعليم من أجل المواطنة العالمية في الدّول العربية، مقال على موقع bahrainws ،الاطّلاع عليه بتاريخ: 15 أفريل2022، رابط المقال:

-85%9D%A8%9D%84%9D%9B%8D%AA%8D%84%9D%7A%8D%/org.bahrainws//:https
-84%9D%AC%8D%3A%8D%-86%9D%85%9D%
-9A%8D%86%9D%7B%8D%7A%8D%88%9D%85%9D%84%9D%7A%8D%
- A8%9D%81%9D%-9A%8D%A8%9D%85%9D%84%9D%7A%8D%9B%8D%84%9D%7A%8D%
84%9D%7A%8D%

3- إيمانويل كانط (2003)، مشروع السلام الدائم، مكتبة الأسرة، الإسكندرية.

4 برتراند راسل (1960)، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

5- جون ستيورارت ميل (1922)، الحرية، (ط 1)، مطبعة الشعب، مصر.

6- جيمس جوردن فينليسون (2015)، يورغن هابرماس: مُقدِّمة قصيرة جدّاً، مؤسّسة هنداوي، مصر.

7-Harvard University ,Notes Toward a Performative Theory of Assembly, (2015)Judith Butler .United kingdom ,PressCambridge

8- جيمس جوردن فينليسون (2015)، يورغن هابرماس: مُقدِّمة قصيرة جدّاً، مرجع سبق ذكره.

Hyppolite and ,Kojeve, The projects of desire in Hegel: Recovery and invention, (1984)Judith Butler **-9** A.S.U, Yale University, Faculty of the Graduate School, [PhD dissertation] , Sartre

-4603/blogs/com.versobooks.www// https ,Limits Capitalism Has its, (2020march 30)Butler Judith **-10** .(2022 ,4May :Retrieved) mits -its-has-Capitalism

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلاً: اللّغة العربية

1- إبراهيم مذكور (1983)، المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، ط 1، القاهرة.

2- إيمانويل كانط (2003)، مشروع السّلام الدّائم، تر: عثمان أمين، مكتبة الأسرة، الإسكندرية.

3- جون ستيورارت ميل (1922)، الحريّة، تر: طه السباعي، مطبعة الشعب، ط 1، مصر.

4- جيمس جوردن فينليسون (2015)، يورغن هابرماس: مُقدِّمة قصيرة جدّاً، تر: أحمد محمّد الروبي، مؤسّسة هنداوي، دم.

5- راسل برتراند (1960)، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، تر: عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

6- قاروني سرور، (2015)، التّعليم من أجل المواطنة العالمية في الدّول العربية،

https: //bahrainws.org/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-
%D9%85%D9%86- %D8%A3%D8%AC%D9%84-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9%86%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-
%D8%A7%D9%84

ثانياً: اللّغة الأجنبية

1. rd University PressHarva, Notes Toward a Performative Theory of Assembly, (2015)Judith Butler .United kingdom, Cambridge

2. yppolite and , Kojeve ,The projects of desire in Hegel :Recovery and invention ,(1984)Judith Butler .A.S.U ,Yale University, l Faculty of the Graduate Schoo ,[PhD dissertation] ,Sartre

3. /blogs/com.versobooks.www//: Capitalism Has its Limits https, (2020march 30) Judith Butler limits-its-has-Capitalism-4603